

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَسْؤُلِيَّتُنَا تجاه صَالِحِ النَّاسِيَّةِ

الحمد لله الذي أمر بكل ما يصلاح أحوال الأفراد والأسر، وحتى على العناية بالناشئة منذ الصغر، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، سبحانه حثنا على تربية الأجيال، وتنشئهم على مكارم الأخلاق وجميل الخصال، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، الصادق الأمين، ومربى خير جيل في العالمين، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى الله وصحابه أجمعين، وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد، فأوصيكم ونفسي - عباد الله - بتقوى الله، والعمل بما فيه رضاه، فإنكم إن تثقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويُكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم ^(١)، واعلموا - رحمة الله - أن ديننا الحنيف عني عناية فائقة ب التربية الأبناء، ودعا لتنشئهم منذ نعومة أظفارهم على كريم الفضائل والشميم، ورفيع الأخلاق والقيم، فالآباء في بداية حياتهم يستقبلون ما يردد عليهم من حق وباطل، وخير وشر، لذا لزم الاهتمام بهم، وحمايتهم من كل ما يؤدي إلى ضياعهم، فعلى قدر هذه العناية يتحدّد مصير المجتمع والأمة. وقد لفت القرآن الكريم إلى أهمية رعاية الأبناء صغاراً، وما لها من أثر عظيم عندما يغدون كباراً، فقال سبحانه مخاطباً نبيه يحيى - عليه السلام - سَلَامٌ عَلَيْكَ يَحْيَى: «يَبْحِي خُذِ الْكِتَبَ بِقُوَّةٍ وَاعْتَنِهِ الْحُكْمُ صَبِيًّا، وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكْوَةً وَكَانَ تَقِيًّا، وَبَرًّا بِوَلَدِيهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَارًا عَصِيًّا» ^(٢).

إخوة الإيمان:

قد يحسب بعض الآباء أن مسؤولية تربية الأبناء تقف عند حد الأوامر والتوجيهات، فإن لم يجد استجابة منهم لجأ إلى العقوبات، وهذا خطأ ظاهر وفهم

(١) سورة الأنفال / ٢٩.

(٢) سورة مريم / ١٤-١٢.

فَاصِرٌ لِمَعْنَى التَّرْبِيَةِ، إِذْ أَنَّ لَهَا أَسَالِيبَ مُخْتَلِفةً وَطَرَائِقَ مُتَعَدِّدةً، وَأَهَمُّ لِبَنَةٍ فِيهَا غَرَسٌ مُراقبَةُ اللَّهِ تَعَالَى، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ لَابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : ((يَا غُلَامٌ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظُكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدُهُ تجاهَكَ))، إِنَّ الْعَالَمَ الْيَوْمَ مُتَعَدِّدُ التَّقَافَاتِ، مِمَّا يَجْعَلُ التَّرْبِيَةَ لَا تَخْلُو مِنْ صِعَابٍ، فَبَعْضُ الْأُمُورِ الَّتِي كُنَّا فِي السَّابِقِ نَسْتَطِيعُ مِنْهُ أَبْنائِنَا عَنْهَا أَصْبَحَتْ فِي مُتَنَاوِلِ أَيْدِيهِمْ، لِذَلِكَ فَلَا يُعْقِلُ أَنْ يَظْلِمَ الْأَبَاءُ طَوَالَ الْيَوْمِ يُرَاقِبُونَ أَبْناءَهُمْ، وَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ أَنْ يُرَبِّوْا فِيهِمُ التَّرْبِيَةَ الْذَّاتِيَّةَ، وَأَنْ يَتَعَرَّفُوا عَلَى الَّذِينَ يُجَالِسُونَهُمْ؛ لِيَتَكَبَّدُوا مِنْ سَلَامَةِ سُلُوكِهِمْ وَاسْتِقَامَةِ أَخْلَاقِهِمْ، إِذْ رُبَّمَا كَانَ تَأْثِيرُ الْقَرِينِ أَكْثَرَ مِنْ تَأْثِيرِ الْوَالِدِينِ. وَمَا أَحْوَاجُ الْأَبَاءِ إِلَى تَفَقُّدِ أَحْوَالِ الْأَبْنَاءِ فِي زَمَانِ زَحْمَةِ الْمَعْلُومَاتِ وَتَتْوُعِهَا، فَإِنَّ عَدَمَ مُتَابِعَتِهِمْ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ عَظِيمُ الْخَطَرِ، وَجَسِيمُ الْعَوَاقِبِ وَالضَّرَرِ، وَمَا الْكِتَابُ وَالْهَاتِفُ وَالْحَاسُوبُ وَسَائِرُ قَنَوَاتِ الْمَعْرِفَةِ إِلَّا جُلُسَاءُ، يَأْتِي مِنْهُمُ النَّفْعُ وَالبَلَاءُ، وَهُنَّا يَتَحَمَّلُ دَوْرُ الْأُمَّهَاتِ وَالْأَبَاءِ، فِي تَوْجِيهِ أَوْلَادِهِمْ وَبَنَاتِهِمْ، إِلَى الْقَنَوَاتِ الْمَأْمُونَةِ عَلَى أَفْكَارِهِمْ، مَعَ حَزْمٍ فِي الْمُتَابَعَةِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِذَا كَانَتْ تَرْبِيَةُ الْأَبْنَاءِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ وَاجِبَةً، فَإِنَّهَا فِي أَيَّامِ الْإِجَازَاتِ أَوْجَبُ وَأَوْكَدُ؛ إِذْ الْفَرَاغُ عُرْضَةٌ لِلضَّيَاعِ إِنْ لَمْ يُغْتَمِّ، وَقَدْ نَبَّهَ نَبِيُّنَا ﷺ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَمَا قَالَ: ((نَعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا - أَيْ لَا يَعْرِفُ قَدْرَهُمَا - كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ)), فَيَجِبُ عَلَى الْأَبَاءِ أَنْ يُوجِّهُوا أَبْنَاءَهُمْ لَا سِتْغَالَ هَذِهِ النِّعْمَةِ؛ بِإِعْدَادِ بَرَامِجٍ هَادِفَةٍ مُفْعِدَةٍ، تُقَوِّمُ أَخْلَاقَهُمْ، وَتَرْفَعُ مِنْ تَقَافَتِهِمْ، وَتُوجِّهُ طَاقَاتِهِمْ نَحْوَ الْخَيْرِ. هَذَا وَإِنَّ مِنَ الشَّبَابِ وَالْأَطْفَالِ مَنْ لَا يَجِدُونَ مُوجَّهًا لَهُمْ فِي أُسْرِهِمْ، يَنْصَحُّهُمْ وَيَأْخُذُ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى مَا يُصْلِحُهُمْ، كَالْأَيْتَامِ وَأَبْنَاءِ الْمُسَافِرِينَ، وَأَوْلَادِ الْمَرْضَى وَالْمُقْعَدِينَ، وَهُنَّا يَأْتِي دَوْرُ أَهْلِ الْخَيْرِ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُجَتَمِعِ، لِيَقُولُوا بِإِعْدَادِ الْأَنْشِطَةِ التَّرْبُوِيَّةِ، وَتَوْجِيهِ الْأَوْلَادِ فِي الْإِجَازَاتِ الْمَدْرَسِيَّةِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْمُرْبَى وَالنَّقْوَى وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْرِ»

وَالْمَعْذُونَ وَأَتَقْوَا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١﴾، فَعَلَى مَنْ أُوتِيَ نَصِيبًا مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، أَنْ يُسْهِمَ فِي التَّقْيِيفِ وَالتَّعْلِيمِ، كَيْ يَنَالَ الْأَجْرَ الْعَظِيمَ، وَعَلَى أَهْلِ الْأَمْوَالِ، أَنْ يَشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى مَا آتَاهُمْ مِنَ الْكَرَمِ وَالنَّوَافِلِ، فَيَتَنَافَسُوا فِي الإنْفَاقِ فِي هَذَا الْمَجَالِ، وَقَدْ عَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعِلْمَ مِنْ أَعْظَمِ الصَّدَقَاتِ الْجَارِيَّةِ الَّتِي يَسْتَمِرُ أَجْرُهَا لِلْمَرْءَ بَعْدَ الْوَفَاءِ.

فَانْتَقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَكُونُوا خَيْرَ الْمُرَبِّينَ، وَأَعِدُوا لِأَوْلَادِكُمُ الْخُطَطَ النَّافِعَةَ فِي إِجَازَاتِهِمْ، وَتَابِعُوهُمْ فِي أَنْشِطَتِهِمْ وَفَعَالِيَاتِهِمْ، فَفِي ذَلِكَ سَعَادَتُكُمْ وَصَلَاحُهُمْ. أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُهُ يَغْفِرُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُ الْكَرِيمُ.

*** * ***

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمْرَنَا بِتَرْبِيَةِ الْأَبْنَاءِ، وَحَفْظَهُمْ مِنَ الشُّرُورِ وَالْبَلَاءِ، وَتَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْمُدَبِّرُ الْحَكِيمُ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، وَتَشْهُدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، أَدْبَهُ رَبُّهُ فَلَحْسَنَ تَأْدِيبَهُ، وَرَبَّاهُ فَأَكْمَلَ تَرْبِيَتَهُ، ﷺ وَعَلَى أَلِهِ وَصَاحِبِهِ، وَمَنْ اهْتَدَى بِهِدْيَهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ نَجْعَلَ مِنَ الطَّفْلِ رَجُلَ الْمُسْتَقْبَلِ الصَّالِحِ؟ ذَلِكَ أَمْرٌ مُمْكِنٌ مَتَى مَا قَامَ الْوَالِدَانِ بِغَرْسِ الْأَخْلَاقِ الْعَالِيَّةِ الْقَوِيمَةِ فِي نَفْسِ طِفْلِهِمَا وَطَبَائِعِهِ؛ فَإِنَّهُ يَشِبُّ حِينَ يَشِبُّ مُعْتَادًا لَهَا، فَتَبَّنِي مِنْهُ رَجُلًا نَافِعًا لِأُمَّتِهِ وَوَطَنِهِ، فَمِنْ ذَلِكَ تَعْوِيذُهُ جَمِيلُ الْأَلْفَاظِ مِثْلُ قَوْلِهِ: "إِذَا سَمَحْتَ" عِنْدَ الْطَّلَبِ، وَ"تَفَضَّلْ" عِنْدَ الْمُنَاؤَةِ، وَ"جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا" إِذَا مَا أُعْطَيَ، وَمَنْ ذَلِكَ أَنْ يُعْلَمَ أَدَابُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَاللِّبَاسِ وَالذُّخُولِ وَالْخُرُوجِ مِنَ الْمَسْجِدِ وَالْمَنْزِلِ وَرُكُوبِ السَّيَّارَةِ، وَفِي مُجَمَّعِنَا - بِحَمْدِ اللَّهِ - تَشْيِيعُ أَدَابٍ تُعدُّ مِنْ صَمِيمِ دِينِنَا الْحَنِيفِ؛ فَلَا يَنْبَغِي إِهْمَالُهَا، كَالْابْتِداَءُ بِالسَّلَامِ، وَحَسْنُ الرَّدِّ،

وَتَقْبِيلُ الْطَّفْلِ لِيَدِ وَالْدِيَهُ، وَتَقْدِيمٌ مِنْ يَكْبُرُهُ فِي الدُّخُولِ وَالْخُروْجِ، وَدَعْوَةُ الضَّيْفِ إِلَى الطَّعَامِ، وَالْقِيَامُ بِخِدْمَتِهِ، وَسُؤَالُهُ عَنْ حَالِهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَرْفَعُ مِنْ مَكَانَةِ الْطَّفْلِ فِي الْمُجَمَّعِ، وَيُشَعِّرُهُ بِالثِّقَةِ وَعَلُوِّ الْهِمَّةِ، وَيَنْذُبُهُ لِلتَّطَلُّعِ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْعَطَاءِ. فَانْتَقَوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ-، وَكُونُوا عَوْنَا لِأَبْنَائِكُمْ عَلَى حِفْظِ أَوْقَاتِهِمْ، وَأَغْتَنَامُ أَوْقَاتَ فَرَاغِهِمْ، وَلَيَتَذَكَّرَ كُلُّ وَلِيٌّ أَمْرٌ أَنَّ أَبْنَاءَهُ مِنْ رَعِيَّتِهِ، وَأَنَّ اللَّهَ سَائِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ.

هَذَا وَصَلُّوْا وَسَلَّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرُّ الْمُحَاجِلِينَ، فَقَدْ أَمْرَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلَيْمًا: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَكِيَّتُهُ يُصْلُوْنَ عَلَى النَّبِيِّ يَتَأْمِهَا الَّذِينَ أَمْنُوا صَلَوَاعَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيْمًا» (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَيْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمَيْنِ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضِ اللَّهُمَّ عَنْ خُلُقِ الْرَّاشِدِيْنَ، وَعَنْ أَرْوَاجِهِ أَمَهَاتِ الْمُؤْمِنِيْنَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، وَعَنَا مَعْهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمِيعَنَا هَذَا جَمِيعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيقًا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِيْنَ، وَوَحْدَ اللَّهُمَّ صُفُوقُهُمْ، وَأَجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَأَكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِيْنَ، وَأَكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِيْنَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أُوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيْدِهِ بِالْحَقِّ وَأَيْدِيهِ بِالْحَقِّ يَا رَبَّ الْعَالَمَيْنِ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيْدِيهِ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ،
وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَغْيِثُ أَلَا تَكُنَّا إِلَى أَنفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ،
وَأَصْلَحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا
فِي ثِمَارِنَا وَزَرْعِنَا وَكُلُّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمَنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ،
إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَاتِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعْظُمُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ».